دانشگاه پیام نور

شعر عربی از آغاز تا پایان دوره اموی

(کارشناسی ارشد رشتهٔ زبان و ادبیات عرب)

دکتر محمدعلی ابوالحسنی **دکتر اصغر پورشمس**

امروزه کتاب‌خوانی و علم‌آموزی، نه تنها یک وظیفه‌ی ملی، که یک واجب دینی است.

مقام معظم رهبری

در عصر حاضر یکی از شاخصه‌های ارزیابی رشد، توسعه و پیشرفت فرهنگی هر کشوری میزان تولید کتاب، مطالعه و کتاب‌خوانی مردم آن مرز و بوم است. ایران اسلامی نیز از دیرباز تاکنون با داشتن تمدنی چندهزارساله و مراکز متعدد علمی، فرهنگی، کتابخانه‌های معتبر، علما و دانشمندان بزرگ با آثار ارزشمند تاریخی، سرآمد دولت‌ها و ملت‌های دیگر بوده و در عرصه‌ی فرهنگ و تمدن جهانی به‌سان خورشیدی تابناک همچنان می‌درخشد و با فرزندان نیک‌نهاد خویش هنرنمایی می‌کند. چه کسی است که در دنیا با دانشمندان فرزانه و نام‌آور ایرانی همچون ابوعلی سینا، ابوریحان بیرونی، فارابی، خوارزمی و ... همچنین شاعران برجسته‌ای نظیر فردوسی، سعدی، مولوی، حافظ و ... آشنا نباشد و در مقابل عظمت آنها سر تعظیم فرود نیاورد. تمامی این افتخارات ارزشمند، برگرفته از میزان عشق و علاقه فراوان ملت ما به فراگیری علم و دانش از طریق خواندن و مطالعه منابع و کتاب‌های گوناگون است. به شکرانه‌ی الهی، تاریخ و گذشته ما، همیشه درخشان و پربار است. ولی اکنون در این زمینه در چه جایگاهی قرار داریم؟ آمار و ارقام ارائه‌شده از سوی مجامع و سازمان‌های فرهنگی در مورد سرانه‌ی مطالعه‌ی هر ایرانی، برایمان چندان امیدوارکننده نمی‌باشد و رهبر معظم انقلاب اسلامی نیز از این وضعیت بارها اظهار گله و ناخشنودی نموده‌اند.

کتاب، دروازه‌ای به سوی گستره‌ی دانش و معرفت است و کتاب خوب، یکی از بهترین ابزارهای کمال بشری است. همه‌ی دستاوردهای بشر در سراسر عمر جهان، تا آنجا که قابل کتابت بوده است، در میان دست‌نوشته‌هایی است که انسان‌ها پدید آورده و می‌آورند. در این مجموعه‌ی بی‌نظیر، تعالیم الهی، درس‌های پیامبران به بشر، و همچنین علوم مختلفی است که سعادت بشر بدون آگاهی از آنها امکان‌پذیر نیست. کسی که با دنیای زیبا و زندگی‌بخش کتاب ارتباط ندارد بی‌شک از مهم‌ترین دستاورد انسانی و نیز از بیشترین معارف الهی و بشری محروم است. با این دیدگاه، به‌روشنی می‌توان ارزش و مفهوم رمزی عمیق در این حقیقت تاریخی را دریافت که اولین خطاب خداوند متعال به پیامبر گرامی اسلام(ص) این است که «بخوان!» و در اولین

سوره‌ای که بر آن فرستاده‌ی عظیم‌الشأن خداوند، فرود آمده، نام «قلم» به تجلیل یاد شده‌است: «إِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْاَکْرَمُ. اَلَّذی عَلَّمَ بِالْقَلَم» در اهمیت عنصر کتاب برای تکامل جامعه‌ی انسانی، همین بس که تمامی ادیان آسمانی و رجال بزرگ تاریخ بشری، از طریق کتاب جاودانه مانده‌اند.

دانشگاه پیام‌نور با گستره‌ی جغرافیایی ایران‌شمول خود با هدف آموزش برای همه، همه‌جا و همه‌وقت، به‌عنوان دانشگاهی کتاب‌محور در نظام آموزش عالی کشورمان، افتخار دارد جایگاه اندیشه‌سازی و خردورزی بخش عظیمی از جوانان جویای علم این مرز و بوم باشد. تلاش فراوانی در ایام طولانی فعالیت این دانشگاه انجام پذیرفته تا با بهره‌گیری از تجربه‌های گرانقدر استادان و صاحب‌نظران برجسته کشورمان، کتاب‌ها و منابع آموزشی درسی شاخص و خودآموز تولید شود. در آینده هم، این مهم با هدف ارتقای سطح علمی، روزآمدی و توجه بیشتر به نیازهای مخاطبان دانشگاه پیام‌نور با جدیت ادامه خواهد داشت. به‌طور قطع استفاده از نظرات استادان، صاحب‌نظران و دانشجویان محترم، ما را در انجام این وظیفه‌ی مهم و خطیر یاری‌رسان خواهد بود. پیشاپیش از تمامی عزیزانی که با نقد، تصحیح و پیشنهادهای خود ما را در انجام این وظیفه‌ی خطیر یاری می‌رسانند، سپاسگزاری می‌نماییم. لازم است از تمامی اندیشمندانی که تاکنون دانشگاه پیام‌نور را منزلگه اندیشه‌سازی خود دانسته و ما را در تولید کتاب و محتوای آموزشی درسی یاری نموده‌اند، صمیمانه قدردانی گردد. موفقیت و بهروزی تمامی دانشجویان و دانش‌پژوهان عزیز آرزوی همیشگی ما است.

دانشگاه پیام‌نور

فهرس الموضوعات

كلمة المؤلِّفَيْنِ **التاسع**

الفصل الأوّل: الكلّيّات **١**

١ـ١ الحياة الأدبية في الجاهليّة ١

١ـ٢ الحياة الأدبية ١

١ـ٣ الشعر: قدمه و كثرته ٢

١ـ٤ مكانة الشاعر و مكانة الخطيب في الجاهلية ٣

١ـ٥ خصائص الشعر الجاهلي ٤

١ـ٥ـ١ أوّلاً ـ الخصائص المعنوية ٤

١ـ٥ـ٢ ثانياً ـ الخصائص اللفظية ٦

١ـ٦ أغراض الشعر و فنونه ٧

١ـ٧ فنون الشعر الجاهلي ١١

١ـ٨ شكل القصيدة الجاهلية ١١

الأسئلة ١٢

الفصل الثاني: الشعر الجاهلي **١٥**

٢ـ١ «الشنفرى» ١٥

٢ـ١ـ١ «لاميّة العرب (للشنفرى)» ١٧

٢ـ٢ «تأبَّط شَرّاً» ٢٩

٢ـ٣ «عروة بن الورد» ٣٣

٢ـ٣ـ١ من هو الصّعلوك ؟ ٣٤

٢ـ٤ «إمرؤ القيس» ٣٨

٢ـ٤ـ١ «معلّقة إمرئ القيس» ٣٩

٢ـ٥ «طرفة بن العبد» ٥٥
٢ـ٦ «زهير بن أبي سُلمى» ٧٠
٢ـ٧ «لَبيدُ بنُ ربيعة» ٨٢
٢ـ٨ «عمرو بن كلثوم» ٩٨
٢ـ٩ «عنترة بن شدّاد» ١١٠
٢ـ٩ـ١ «مختارات من معلقة عنترة بن شدّاد» ١١١
٢ـ١٠ «ألحارث بن حلّزة» ١١٩
٢ـ١٠ـ١ «حارث بن حلّزة اليشكري» ١٢٠
٢ـ١١ «الخنساء» ١٢٩
٢ـ١١ـ١ «من شعر الخنساء» ١٣٠
الأسئلة ١٣٤

الفصل الثالث: الشعراء المخضرمون **١٣٧**
٣ـ١ «الشاعر المُخَضرَم» ١٣٧
٣ـ٢ «حسّان بن ثابت الأنصاريّ» ١٣٨
٣ـ٢ـ١ «شعر حسّان» ١٣٩
٣ـ٢ـ٢ «نموذج من هجاء حسّان» ١٤١
٣ـ٢ـ٣ «شعر حسّان، الإسلاميّات» ١٤٣
٣ـ٣ «كعب بن زُهَير» ١٥٣
٣ـ٣ـ١ «بانت سُعاد» ١٥٣
٣ـ٤ «الحطيئة» ١٦٢
٣ـ٤ـ١ «مدح بغيض و هجو الزبرقان» ١٦٢
٣ـ٥ «أبو ذُؤَيب الهُذَليّ» ١٦٨
٣ـ٥ـ١ «المرثيّة لأبي ذؤيب الهذليّ» ١٦٨
٣ـ٦ «معن بن أوس» ١٧٢
٣ـ٦ـ١ «حُلم» ١٧٣
الأسئلة ١٧٦

الفصل الرابع: الشعر الإسلاميّ **١٧٩**
٤ـ١ «الشعر في صدر الإسلام» (٤١ هـ ـ ٦٢٢ م) ١٧٩
٤ـ٢ «عبداللّه بن رواحة» ١٨٠
٤ـ٣ «النابغة الجعديّ» ١٨٧
٤ـ٣ـ١ «شعر النابغة الجعديّ» ١٨٨
٤ـ٤ «مُتَمِّم بن نُوَيْرَة» ١٩١
٤ـ٤ـ١ «رثاء مالك» ١٩٢

۴ـ۵ «سُوَيْد بن أبي كاهل» ۱۹۷
۴ـ۵ـ۱ «اليتيمة» ۱۹۸
۴ـ۶ «كعب بن مالك الأنصاري» ۲۰۱
۴ـ۶ـ۱ «شعر كعب بن مالك» ۲۰۱
۴ـ۷ «الحُصين بنُ الحُمام المُرّيّ» ۲۰۴
۴ـ۷ـ۱ «المختار من شعره» ۲۰۴
۴ـ۷ـ۲ «و قال في الفخر و الحماسة:» ۲۰۶
الأسئلة ۲۰۹

الفصل الخامس: الشعر الأموي **۲۱۱**
۵ـ۱ «الشعر و الشعراء» ۲۱۱
۵ـ۲ «الفَرَزْدَق» (حوالي ۲۰ـ۱۱۴ه) ۲۱۳
۵ـ۲ـ۱ «مدح الفرزدق لعليّ بن الحسين زين العابدين (ع)» ۲۱۴
۵ـ۳ «جرير» ۲۲۱
۵ـ۳ـ۱ «القصيدة الدامغة» ۲۲۱
۵ـ۴ «الأَخْطَل» ۲۲۷
۵ـ۴ـ۱ «خَفَّ القَطِينُ» ۲۲۸
۵ـ۵ «مجنون ليلى» ۲۳۳
۵ـ۵ـ۱ «عقاب في الوكر» ۲۳۳
۵ـ۶ «الكمَيْتُ بنُ زَيْدٍ الأسديّ» ۲۳۶
۵ـ۶ـ۱ «قال الكميت رحمهُ اللّه تعالى» ۲۳۷
۵ـ۷ «عُمَرُ بْنُ أبي رَبيعَة» ۲۴۳
۵ـ۷ـ۱ «تَوْبَة» ۲۴۴
الأسئلة ۲۴۹

«إجوبَة الأسئلة» **۲۵۱**
فهرس المنابع و المآخذ **۲۵۳**

كلمة المؤلِّفَيْنِ

أيّها الأساتذة الكرام و الطلّاب الأعزّة ! كتاب «الشعر العربي من البدء إلى نهاية العصر الأمويّ» هذا يحتوي نماذج مختارة من شعر الشعراء الجاهليين و المخضرمين و الاسلاميين و الأمويين مع شرح المفردات و الأبيات لغويّاً و صرفيّاً و نحويّاً و بلاغيّاً و قد وضعنا الكتاب في خمسة فصول كالتالية:

الفصل الأوّل: الكلّيّات و تراجم الشعراء.

الفصل الثاني: الشعر الجاهلي.

الفصل الثالث: الشعراء المخضرمون.

الفصل الرابع: الشعر الاسلامي.

الفصل الخامس: الشعر الأمويّ.

و الكتاب قد دُوّن وفق النهج الدراسي لطلّاب مرحلة الماجستير في فرع اللغة العربية و آدابها لدرس «الشعر العربي من البدء إلى نهاية العصر الأمويّ» و حاولنا أن يكون مفيداً للتعلّم من غير أستاذ و نسأل اللّه التوفيق للطلّاب في تعلّمه.

و من اللّه التوفيق

المؤلفان: الدكتور محمّد علي أبوالحسني

الدكتور اصغر پورشمس

dr.abolhasani@yahoo.com

pourshams@iaun.ac.ir

الفصل الأوّل

الكلّيّات

يُتَوقَّعُ من الطالبِ بعد مطالعة هذا الفصلِ أَنْ:
١. يعرف الحياة الأدبية و خاصةً في العصر الجاهلي.
٢. يعرف خصائص الشعر الجاهلي و أغراضَه و فنونَه.
٣. يتعرّف على شكل القصيدة الجاهلية.

١-١ الحياة الأدبية في الجاهليّة

الجاهليّة اسم اطلقه القرآن الكريم على العصر الذي سبق الاسلام، لأنّ العرب في تلك الحقبة كانوا «أهل جاهلية» يعبد بعضهم الأوثان و يتنازعون فيما بينهم و يثأر بعضهم من بعض، و يئدون أحياناً أولادهم. و كانوا يشربون الخمر و يجتمعون على الميسر (القمار). و هكذا نرى أن الجاهلية كانت من الجهل الذي هو ضدّ الحلم، لامن الجهل الذي هو ضدّ العلم. إنّ العرب كانوا على قسط وافر من العلوم و المعارف التي كانت معروفة في عصرهم كالفلك و الطب و اقتضاء الأثر. أمّا ادبهم فكان أرقى الآداب في أيامهم. ولايزال هذا الأدب الجاهلي إلى اليوم من أبرع النماذج الأدبية.

١-٢ الحياة الأدبية

الأدب العربي قديم النشأة جدّاً، و الشعر الذي وصل إلينا من الجاهلية يمثل دوراً راقياً لا يمكن أن يكون الشعر قد بلغ إليه في أقلّ من ألفي سنة على الأقلّ. غير أنّه لم يصل إلينا من ذلك الشعر الأول شيء.

مواسم الشعر و أسواقه ـ اتّسع نطاق الشعر في الجاهلية فلم يبق مقتصراً على التعبير عن الخيال و الواجدان فحسب، بل شمِل ذكرَ المفاخر و وصف المعارك و تَعداد بعض الحوادث حتّى سمّي بحقّ «ديوان العرب»، أي سجلّ تاريخهم. من أجل ذلك اقتُضي أن يُنشد في المجتمعات و في الحَفْل الغفير، فأخذ الشعراء يَؤمّون الأسواق الخاصة و الأسواق العامة الكبرى لينشر كلّ واحد منهم محامد قومه أو يدل على براعة نفسه، مع العلم بأن هذه الأسواق كانت في الأصل للتجارة، ثم جعل الناس يتخذونها مواسم قومية أو أدبية، لاجتماع الناس فيها. و ربما طلب أحدهم في أحد هذه المواسم غريماً أو عرض فيها سيفاً أو فرساً كريماً للبيع، أو أمّها يبحث عن امرأة يخطبها، أو ليُشهد على عتق عبد يملكه.

أمّا الأسواق الصغرى فكانت كثاراً، كلّ حيّ له سوق أسبوعية أو شهرية قاصرة على أهل الحيّ و مَن جاورهم في الأغلب. أمّا الأسواق الكبرى فكانت أقلّ عدداً و أطول أمداً، و كان الزمن الذي يفصل بين انعقادها أطول، هو في الأغلب عام واحد. و أمّا أشهر هذه الأسواق ـ أو المواسم ـ فثلاث: ذوالمجاز قرب يَنْبُع (و ينبع ثغر مدينة الرسول)، و ذو المِجَنّة (بفتح الميم أو كسرها) قرب مكة، ثمّ عكاظ و هي سوق في صحراء بين نَخلة و الطائف شرق مكة، و كانت تبدأ مع هلال ذي القعدة و تستمرّ عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيها فيتعاكظون أي يتفاخرون و يتناشدون.

۱ـ۳ الشعر: قدمه و كثرته

الشعر العربي قديم النشأة جدّاً، ولكن القسم الأوفر منه ضاع بعوامل مختلفة: بترك تدوينه، و بهلاك نفر كثيرين من رواته في الفتوح بعد الإسلام، و بتشاغل الناس عن روايته بالدين و بالفتوح. و الإجماع بين النقّاد واقع على أن أول الشعر العربي الرجز.

ثمّ ان الشعراء أنفسهم كثار لايحيط بهم العدّ. قال ابن قتيبة: «و الشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم و قبائلهم في الجاهلية و الاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط». ثمّ قال أيضاً: ولو قصدنا لذكر من لم يقل من الشعر إلّا الشذّ اليسير لذكرنا أكثر الناس.

المعلّقات ـ و مع الأيام زاد في الحياة الأدبية وجه جديد، ذاك أن الشعراء كانوا يتبارَون في سوق عكاظ أمام أحد فحول الشعر ـ و قد ذكروا من هؤلاء النابغة ـ فمن حكم له أنداده أختيرت قصيدته و «عُلّقت» قيل أعَدّوها عِلْقاً أي شيئاً نفيساً، و قيل كتبوها بالذهب و علّقوها على جدران الكعبة، و قيل بل علقوها بالذهن أي حفظوها عن ظهر قلب.

و ليس من المستبعد أن تكون المعلقات قد دُوّنت و علّقت في الكعبة تصديقاً للروايات الكثيرة المتواترة في ذلك وجرياً على عادة الجاهليين في كتابة عهودهم و مواثيقهم و تعليقها في الكعبة نفسها.

و اختلف علماء الشعر في عدد المعلّقات فمن مقلّل و من مُكثر، إلّا أن جمهور الرواة يجعلها ثمانيَ، هي، حسب ما اختاره أبوزيد القرشي، لامرئ القيس (الكنديّ) و زهير بن أبي سُلمى (المُزَني) و النابغة (الذُّبياني) و الأعشى (القيسي) و لبيدبن ربيعة (العامري) و عمرو بن كلثوم (التغلبي) و طرفة بن العبد (البكري) و عنترة (العبسي). و منهم من يزيد عليها معلقة الحارث بن حِلّزة البكري و عَبِيد بن الأبرص (الأسدي).

١ـ٣ مكانة الشاعر و مكانة الخطيب في الجاهلية

قال ابن رشيق (ابن رشيق القيروانى، ١٩٥٥م، ج١: ٣٩): «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعرأتت القبائل فهنأتها، و صُنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الاعراس؛ و يتباشر الرجال و الولدان، لأنه (أي الشاعر) حماية لأعراضهم و ذبّ عن أحسابهم و إشادة بذكرهم، و كانوا لايهنّأون إلّابغلام يولد أو شاعر ينبع فيهم أو فرس تُنْتَج ...»

و قال الجاحظ: «و الخطباء كثيرون، في الجاهلية، و الشعراء أكثرَ منهم. و مَن يجمع الشعر و الخطابة قليلٌ». (الجاحظ، ١٩٨٨م، ج ١: ٤٥) و لقد «كان الشاعر أرفعَ قدراً من الخطيب، و هم إليه أحوجُ لردّه مآثرهم عليهم و تذكيرِهم بأيّامهم. فلمّا كثر الشعراءُ و كثر الشعر صار الخطيب أعظمَ قدراً من الشاعر». (المصدر نفسه، ج ٣: ٨٣)

و جاء الجاحظ أيضاً بتفصيل أوفى في هذا الموضوع فقال: «كان الشاعر في الجاهلية يُقدّم على الخطيب لفَرْط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرَهم و يُفخّم شأنهم و يهوّل على عدوّهم و مَنْ غَزاهم، و يُهَيّب من فرسانهم و يُخوّف من كثرة عددهم، فَيَهابهم شاعر غيرهم و يُراقب شاعرَهم. فلمّا كثر الشعر و الشعراء، و اتّخذ (الشعراء) الشعر مَكسَبةً، و رحلوا به إلى السوقة و تَسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر».(المصدر نفسه، ج ١: ٢٤١)

۱ـ۵ خصائص الشعر الجاهلي

كانت البادية بيئةَ الشعر الجاهلي، و لذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية، يدور حول الجمل و الطلل. و مع أنه قد نبغ في المدن شعراءُ، فإنّ فحول الشعراء كلهم كانوا من أهل الوَبَر (سكان الخيام: البدو)، و لم يعترف الجاهليون و لاعلماء الشعر المسلمون بتقديم شاعر قروي (مدني) على شعراء البادية.

و على هذا ينتظر أن نرى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية و ما فيها إلّا قليلاً من ألوان الحَضَر الّتي عرضت في شعر شعراءَ ذهبوا إلى بلاطات فارس و العراق و الشام كالأعشى و النابغة مثلاً. فمن تلك الخصائص:

۱ـ۵ـ۱ أوّلاً ـ الخصائص المعنوية

(أ) الصدق: الصدق في الشعر أن يعبّر الشاعر عمّا يشعر به حقيقةً ممّا يختلج في نفسه، و الا يتكلف في ايراده، بقطع النظر عمّا إذا كانت الحوادث الّتي يذكرها قد وقعت أو لم تقع أو كان مبالغاً فيها. فليس من الضروري مثلاً أن يكون قول عمروبن كلثوم:

ملأنا البَرّ حتّى ضاق عنّا، و ماءُ البحر نملأُه سفينا

صحيحاً (و نحن نعلم أنه غير صحيح). و لكن المهم أن عمراً كان يشعر هذا الشعور فجاء بيته هذا صادقاً في التعبير عن شعوره هو.

(ب) النزعة الوُجدانية ـ و الشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الأولى، يصف نفس قائله و شعوره. حتى أن الشاعر القديم كان إذا عرض «لبحث موضوعي واقعي»، كوصف الصيد و الحرب أو كالحكمة و الرثاء، لونه بشعوره هو فانقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعاً وجدانياً.

و الأدب في الحقيقة هو الانتاج الوجداني المطبوع. و وصف ابن قتيبة الشاعر المطبوع فقال فيه: هو «من سَمَح بالشعر و اقتدر على القوافي، و أراك في صدر بيته عَجُزَه، و في فاتحته خاتمتَه، و تَبيّنتَ على شعره رَوْنق الطبع و وَشْيَ الغريزة، وَ إذا امتُحنَ (بانشاد شعره) لَمْ يَتَلَعْثَمْ وَ لَمْ يتزحّر». و لذلك كره النقاد أشعار العلماء إذ ليس فيها شيء جاء عن إسماح و سهولة كشعر الأصمعي و شعر ابن المقفّع و شعر الخليل (ابن أحمد) و سواهم. و لعلّهم من أجل ذلك أيضاً فضّلوا أشعار البدو على أشعار الحضر لِمَا في أشعار

البدو من الطبع في القول و العَفْو في النظم، و لما في أشعار الحَضَر من التكلّف بعوامل من العلم و المداراة و تعقّد الحياة الإجتماعية. (ابن قتيبه، ١۴٢٣ق،٢۶؛ ابن رشيق القيروانى، ١٩٥٥م، ج ١: ١٠٨)

(جـ) البساطة ـ إن الحياة الفطرية و البدوية و القدَم في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الانسانية ساذجة بسيطة، كذلك كانت البيئة الجاهلية، و كذلك كان اثرها في الشعر الجاهلي.

جرى الشاعر الجاهلي على طبعه و سجيته فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به و لاتكلف الاحاطة و الشمول و لا التخريج و التعليل و لا التعقيد و المعاصاة في ما شعر به. إن الطبع و السجية و البساطة و الصدق تتمثل كلها في قول عنترة يخاطب عبلة:

و لقد ذكرتُكِ و الرماح نواهلٌ منّي و بِيض الهند تقطُرُ من دمي؛
فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنّها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم!

(د) القول الجامع ـ كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي انّه «شعر وجداني»، من أجل ذلك كان مَعرِضاً للآراء المفردة أكثر منه معالجةً مستفيضة لشؤون الحياة. و لقد مال العرب عموماً و الجاهليون خصوصاً الى استجماع القول حتى كان البيت الواحد من الشعر يجمع معانيَ تامّة، و حتى جعل الأقدمون يفتخرون بذلك. و قد أُعجِب النقّاد بقول امرئ القيس:

قِفانَبْكِ من ذكرى حبيب و منزل بسِقْط اللوى بين الدَخول فحَومل

و قالوا: انه وقف و استوقف و بكى و استبكى و ذكر الحبيب و المنزل في بيت واحد!

(هـ) الاطالة و الاستطراد ـ و كان يُحمد في الشاعر الجاهلي أن يكون «طويل النفَس» أي ان يطيل القصائد. و قد يخرج الشاعر أحياناً عن الموضوع الاساسي إلى موضوعات تتعلق به من قرب أو من بعد، و هذا يسمّى الاستطراد.

و قد أُثِرَ عن الجاهلية مقطعات قيل إن أكثرها كان في الأصل قصائد طوالاً ثمّ نُسي بعضها. و مع العلم اليقين ان الشاعر الجاهلي نظم مثل هذه المقطعات ابتداءً، فان الغالب على طبع الجاهلي انه كان يميل إلى اطالة القصائد.

(و) الخيال ـ و إذا كان اتساع أفق الصحراء قد أدّى إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي، فان هذا الشاعر الجاهلي كان فطرياً بسيطاً كبيئته. و لعلك لاتستغرب إذا علمت ان الشعراء الذين اتصلوا بالحَضَر كالأعشى و امرئ القيس و النابغة كانوا في خيالهم أوسع و أعمق و أدق كما ترى في معلقة امرئ القيس عند الكلام على البرق و المطر و السيل و على النبات الذي هاج بعد ذلك المطر.

و لاريب في أن الخيال في الجاهلية كان لايزال يعتمد على التشابيه و الاستعارات أكثر من اعتماد على انتزاع الصور من الطبيعة.

۱ـ۵ـ۲ ثانياً ـ الخصائص اللفظية

(أ) غرابة الألفاظ و جزالتها ـ إذا قرأنا نحن اليوم بعض الشعر الجاهلي وقعنا في أكثره على «كلمات غريبة»، أي كلمات غير مألوفة في مخاطباتنا و كتاباتنا في عصرنا هذا. و يجب أن نشير إلى ان هذه الكلمات كانت يومذاك «فصيحة» أي مأنوسة مألوفة، ذلك لأن ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام و على الإبِل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام و الابل مألوفة عنده. و لكن لما انقطع ما بيننا و بين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا و بين الكلمات الدالّة عليها و على أوجهها و أدواتها و آلاتها ـ على ما ترى في وصف طرفة للناقة في معلقته مثلاً. على ان الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ نحو رِئال (نعام) و قد تكون وحشية أو حوشية مستكرَهة في اللفظ، نحو بُعاق (مطر). والكلمة الجزلة هي الكلمة الفخمة الّتي نقع موقعها من الاستعمال.

(ب) متانة التركيب و بلاغة الأداء ـ و التركيب في الشعر الجاهلي متين، أي صحيح يجري على قواعد اللغة العربية، لاضعف فيه من تقديم لفظ في غير محله أو تأخير لفظة إلى غير مكانها الذي تقتضيه أساليب العرب، أو زيادة حشو لافائدة فيه أو حذف لغير سبب نحوي.

و كذلك كانت تراكيبه بليغة، أي تؤدّي المعاني المقصودة منها في الأحوال المناسبة إما حقيقة و إما مجازاً بتشابيه و استعارات و كنايات تفصح عن المعاني و تكسو الافكار قوة و بروزاً، من غير تأثر بعجمة أو لحن عامي. و قد نجد في الشعر الجاهلي بضعة ألفاظ من الجناس و الطباق و لكنها كلها غير مقصودة و إنما وقعت هنالك اتفاقاً، و لعل شاعرها لم يفطن اليها.

(جـ) العناية و التنقيح ـ و بما أنّ الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته و طبعه فإنه لم يتكلف عادةً في ما كان ينظمه بل كان يلقيه إلى الناس كما يخطر له و يدور في خياله. و لكنْ كان هنالك نفر يأخذون شعرهم بالعناية و التنقيح، و قدسمّاهم رواة الأدب «عبيدَ الشعر» لأنهم يتكلفون اصلاحه (بعد نظمه) و يَشغَلون به حواسّهم و خواطرهم. و قد عدوا من هؤلاء النابغة و زهيراً و الحُطيئة و طُفيلاً الغنوي. و اشتهر من بينهم زهير بقصائده «الحوليات»، أي الّتي كان يقضي حَولاً (عاماً) كاملاً في نظم كلّ واحدة منها و تنقيحها و عرضها على النَقَدة. (ابن القيروانى، ١٩٥٥م، ١: ١٠٨-١١٢).

و أراد الجاحظ تعليل ذلك فقال: «و من شعراء العرب مَنْ كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً (كاملاً) و زمناً طويلاً، يردّد فيها نظره و يُجيل فيها عقله و يقلّب فيها رأيه، اتّهاماً لعقله و تَتَبّعاً على عقله فيجعلُ عقله زِماماً على رأيه، و رأيَه عياراً على شعره إشفاقاً على أدبه و إحرازاً (صيانة) لِما خَوّله اللّهُ تعالى من نِعْمَتِه. و كانوا يسمّون تلك القصائد الحَوْلِيّاتِ و المُقَلّدات و المُنَقّحات ليصيرَ قائلُها فَحْلاً خِنْذِيذاً و شاعراً مُفْلِقاً». (الجاحظ،١٩٨٨م،ج ٢: ٩)

١ـ٦ أغراض الشعر و فنونه

الأغراض هي الموضوعات الّتي يتناولها الشاعر عَرضاً في قصيدته، و هي عادة «أمور ممهدة» للفنّ (الغرض الرئيسي) الذي يرمي إليه الشاعر. و لقد كان الوصف و النسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين. و أغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها:

- **وصف الأطلال:** يأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد أهلها قد رحَلوا بها عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه، فيقف على طلل الخيمة (المكان الذي كانت الخيمة منصوبة فيه) فيصفه و يصف ما حوله و ينسِب بالحبيبة و يتشوق إليها.
- **وصف الراحلة:** و كذلك يصف الشاعر الراحلة أو المطية (الناقة أو الفرس) التي يركبها للوصول إلى الحبيبة أو الممدوح ...
- **وصف الصيد:** و يَصيد الجاهلي لسببين: إما طلباً للمعاش كما كان يفعل صعاليك العرب، أو طلباً للهو كما كان يفعل امرؤالقيس، أو لأنه كان يخرج في حاشية الملوك الذين يذهبون إلى الصيد كالنابغة.

- **وصف الطبيعة:** ويصف الشاعر عادة مايراه في أثناء رحلته من صحراء أو أودية أو مطر أو رياح أو نهر. و أشهر الوصافين في الجاهلية امرؤالقيس. و أصاب ابن رشيق لَمّا قال: «الشعر إلّا أقلّه راجع إلى الوصف، و لاسبيل إلى حصره و استقصائه. و هو مناسب للتشبيه و مشتمل عليه و ليس به، و لكنه كثيراً ما يأتي في أضعافه. و الفرق بين الوصف و التشبيه أن هذا (الوصف) اخبار عن حقيقة، و أن ذلك (التشبيه) مجاز و تمثيل.» (ابن رشيق القيروانى، ۱۹۵۵م، ج ۲: ۲۸۷)

و مع الأيام تفرّع الوصف أبواباً في الشعر فأصبح وصفُ النساء غزلاً، و وصف الخمر خمرياتٍ، و وصف الصيد طرْداً. و هكذا إذا قلنا نحن اليوم «الوصف» عَنَيْنا الوصفَ المطلق أو وصف الطبيعة بما فيها مِنْ حياة: نباتٍ و حَيَوانٍ أو من مواتٍ كالجبال و الأنهار و النجوم و الأودية و الثياب و الهياكل و ما سوى ذلك.

و الوصف في كلّ شيء نوعان: خياليّ وحسّيّ. فالوصف الخياليّ يعتمد التشبيه و الاستعارة و يحاول أن يستحضر الموصوف من الذاكرة. أما الوصف الحسّيّ فهو تصوير للموصوف. و لاريب في أن الوصف الحسّي أبلغ و أجود و أندر و أكثر صعوبةً من الوصف الخيالي. و قد ذكر أبو هلال العسكري الوصف فقال: «أجود الوصف ما يستوعب أكثرَ معاني الموصوف، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك». (فروخ، ۱۹۸۴م، ج۱: ۸۱) و أورد ابن رشيق قولاً بارعاً لبعض معاصريه يقول فيه: «أبلغ الوصف ما قَلَبَ السمعَ بصراً». (ابن رشيق القيروانى، ۱۹۵۵م، ج ۲: ۲۷۹)

- **الحماسة:** و هي وصف المعارك و الفخر بالنفس أو بالاسلاف. و الحماسة أيضاً تتضمن المعاني التي تدلّ على «الصبر على الحوادث و التجلّد للأيّام» و على «عدم المبالاة بما ينشأ عن التحول عن الإلف و ترك الصديق و العشير، لأنّ ترك الوطن و الاخلال بالعشيرة ربّما أدّى إلى التخاذل و التقاتل، فالصبر عليه كالصبر على القتال»، كما يقول التبريزي.
- **الأدب:** و يسمى الحِكمةَ أيضاً، ذِكرُ آراءٍ صائبة تصدق في الواقع أو توافق المنطق أو توجز نتائج الاختبار الطويل في الفاظ يسيرة. و ليس من الضروري أن ترد الحكمة على لسان العلماء و الاذكياء و اصحاب الاختبار في الحياة فقط، فقد جرت أقوال من الحكمة البالغة على ألسن نفر من الجهال و الأفدام و المشعبذين و صغار السنّ و من لايكادون يَبينون في كلامهم. و الامثال على لسان الحيوان تدخل أيضاً في باب الحكمة، و كذلك التزهيد و المواعظ.

- **الغزل:** تعبير عن عاطفة أصلية في الانسان أصالة الحاجة الجنسية فيه و تغزّل الجاهلي بالمرأة وحدها، إلا أن غزله هذا جرى مجريين. مجرى عفيفاً و مجرى صريحاً. أما الغزل العفيف فكان في البادية في الأكثر، و كان عفيف المعنى، عفيف اللفظ. و قل ما صرّح الشاعر المحبّ باسم حبيبته في الشعر.

من أجل ذلك كان الغزل العفيف نسيباً يدور حول بثّ الشوق و تذكر الأيّام الماضية و الرغبة في لقاء الحبيبة، و يقل الغزل الصّريح (وصف الأعضاء الظاهرة في المرأة) في هذا النسيب. و يحسن أن نلاحظ أن الغزل كان يقال في المتزوّجات أكثر مما كان يقال في العذارى. حتى ذلك الذي كان يقال في العذارى كان يجري في لفظ يدل على متزوّجة: أم الحويرث، أم الرباب، الخ. و كان إذا تغزّل المحبّ بحبيبته و صرّح باسمها منعوه من الزواج بها، و ربما خلعوه و أخرجوه من القبيلة أو نفوه عنهم مرّة واحدة.

و البدْوي الذي كان يسلك سبيل الغزل الصريح كان مغرماً بالصفات الجسمانية البارزة في المرأة. و كان الجاهليون يحبون الحَور، (شدة البياض في بياض العين و شدة السواد في سوادها). و كانوا يحبون الشَعر الكثيف الوافر (الطويل) الأسود الجعد، و يحبّون الرأس البيضاوي الذي يكون فيه الخد أسيلاً (طويلاً)، كما يكرهون اللون الأمهق (الذي لا يخالط بياضه حمرة أو صفرة). و كذلك كانوا يحبون العنق الطويل.

و كان أهل الحَضَر يحبون المرأة العبلة الرُعبوبة التي لاتبلغ في السمن مبلغ تلك التي يضيق الباب عنها. و ذلك قول امرئ القيس في معلقته: «مهفهفة بيضاء غير مفاضة».

و كان الجاهليون من أهل الحضر يحبّون أن يغامروا في سبيل الوصول إلى المرأة: فكانت المرأة المنيعة المتصوّنة المحاطة بالحراس و الاسوار أحبّ إليهم من المرأة المبتذَلة، بينما البدوي كان يفضّل الوصول إلى المرأة من أيسر سبيل.

و الشاعر العفيف الغَزِل سواءٌ، أكان بدويا أم حَضَرياً، كان يغلب عليه الميل الى إمرأة واحدة يجد فيها نعيمه و شقاءه، سواء أكانت هي تبادله حباً بحب أم لا تبادله، كما رأينا في شأن عنترة مثلاً فقد وقف سعادته على الزواج بعبلة. ثمّ ان عبلة تزوّجت و ظل هو يقول فيها الشعر و يتحبّب اليها.

- **الفخر:** الفخر من توابع العصبية و الحياة القبلية. و كان الشاعر يفتخر بقومه أوّلاً، بنفسه ثانية. و مقوّمات الفخر في الجاهلية كانت: شرف الاصل و كثرة العدد و

الشجاعة و الكرم و ما يتفرّع منها. و يزيد الفخر بالنفس على الفخر بالقبيلة «السيادة»، و ذلك أن يكون المفتخر بقومه قد أصبح سيداً في قومه، و في سنّ باكرة على الأخصّ. و كان البدوي خاصة يفتخر بالنجدة (الاسراع إلى معونة الآخرين من ذات يده أو ذات نفسه أو بسيفه). و كان أيضاً يفتخر بشرب الخمر و اسقائها (لأن الخمر كانت في الجاهلية نادرة غالية الثمن).

- **المدح:** كان الجاهليون يمدحون بالمكارم التي كانوا يفتخرون بها. و المدح في الجاهلية كان فرقين: مديحاً للشّكر و للإعجاب يغلب على أهل البادية كما نرى عند امرئ القيس و عند زهير بن أبي سلمى، ثم مديحاً للتكسّب يغلب على أهل الحَضَر و ساكني الحضَر أو المتردّدين على الحضَر، كما نرى عند النابغة و الاعشى.
- **الرثاء:** و الرثاء في الحقيقة مديح الميت. ولذلك نجد الجاهليين يرثون بالخصال التي كانوا يفتخرون بها و يمدحون. ولاريب في أن رثاء الأقارب كان في العادة أقرب إلى العاطفة. و يتصل بالرثاء النواح، و هو الشعر الذي كانت ينوح به النساء على الميت. و يبدو أن النواح كان في الجاهلية قد قطع شوطاً بعيداً من التقدم حتى اصبح فنّاً و صناعة و حرفة، فقيل في امثالهم: «ليست النائحة الثكلى كالمستأجَرة».
- **و كذلك الهجاء كان نزعاً لتلك الصفات الحميدة عندهم عن المهجوّ و وصمَه بأضدادها:** بضَعَة الأصل و قلّة عدد القبيل و بالجبن و البخل. و لكن ممّا يلفِت النظر ان الجاهلي كان يهجو بالعيوب النفسية الخُلقية و لم يهج بالعيوب الجسميّة الخَلقية.

و الهجاء بدوره كان فرقين أيضاً: هجاء قبليّاً، و هو الاشهر و الأكثر، ثمّ هجاء شخصيّاً في الأقل. إن الحياة القبيليّة كانت تستتبع أن يكون الهجاء أو العداوة الّتي تقتضي الهجاء قبلياً. و لكن لم يكن ثمّت مفرّ من أن يخاطب الشاعر القبيلة المهجوّة بالتوجّه بالكلام إلى شاعرها. ألم يكن الشاعر هو الرافعَ لشأن القبيلة و ممثلها؟

و الشاعر الجاهلي يطرق في معلقته عادة جميع هذه الأغراض و يمرّ بها مَرّاً خفيفاً. إلا انه يتكئ على غرض واحد منها في الأكثر أو على غرضين يجعل منهما الموضوع الأساسي المقصود من المعلقة كلها كالغزل و الفخر عند عنترة. أو كالغزل و الوصف عند امرئ القيس أو كالاعتذار عند النابغة.

١ـ٧ فنون الشعر الجاهلي

الفنّ «موضوع» مقصود لذاته يعالجه الشاعر بتوسع، و قد يَقْصُرُ عليه القصيدة كلها أو أكثرها. و بكلمة أوضح: ان الغرض إذا تطور و اتسع أصبح فناً. فالغزل مثلاً «غرض» إذا كان في ابيات قليلة، و في مطلع قصيدة في المديح مثلاً، و لكنه «فنّ» إذا كان مقصوداً لذاته في قصيدة تامّة أو شبه تامّة، و قد نسميه أيضاً باباً من أبواب الشعر.

١ـ٨ شكل القصيدة الجاهلية

إذا رجعنا إلى القصائد الجاهلية الطوال، و المعلقات منها على الأخص، رأينا أن الشعراء يسيرون فيها على نهج مخصوص: يبدأون عادة بذكر الأطلال ـ و قد بدأ عمروبن كلثوم مثلاً بوصف الخمر ـ ثمّ بذكر الحبيبة، ثمّ ينتقل أحدهم إلى وصف الراحلة ثمّ إلى الطريق الّتي يسلكها. بعدئذٍ يخلص إلى المديح أو الفخر (إذا كان الفخر مقصوداً كما عند عنترة). و قد يعود الشاعر إلى الحبيبة ثمّ إلى الخمر. و بعدئذٍ ينتهى بالحماسة (أو الفخر) أو بذكر شيء من الحكم (كما عند زهير) أو من الوصف (كما عند امرئ القيس).

و يجدر بالملاحظة أن في القصيدة الجاهلية اغراضاً متعددة، واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرئ القيس، و الحماسة عند عنترة، و المديح عند زهير، و الإعتذار عند النابغة).

هذا في المعلقات. أما في سائر القصائد الجاهلية فالأمر يختلف أحياناً اختلافاً ظاهراً. هنالك مقطعات في الأدب أو في الوصف أو الحماسة مستقلة بنفسها. و هنالك أيضاً قصائد تعالج موضوعاً واحداً كقصيدة عُروة بن الورد:

اقلّي عليّ اللومَ، يا ابنةَ منذرٍ و نامي، فإن لم تشتهي النوم فاسهري

فانها سبعة عشر بيتاً تدور حول فكرة واحدة و موضوع واحد، هما ان إمرأة الشاعر تلومه لأن رزقه قليل، فيبدي هو لها عذره و يقول لها إنه يود ألايطلب الغنى إذا كان في الغنى مذلة له.

ذلك هو شكل القصيدة المألوف. و يبدو لنا أن الشعراء الذين كانوا يطمعون في الإنشاد في عكاظ كي تعلّق قصائدهم إذا ظفرت برضا المحكمين كانوا ينسجون قصائدهم على هذا المنوال الرسمي المألوف، حتى أصبح ذلك النسق المألوف في المعلقات مرغوباً فيه و خصوصاً عند الممدوحين فتعلّق به الشعراء المدّاحون ثمّ احتفل به النقاد حتى غلب هذا الشكل المألوف